الدعوة الاسماعيلية وآدابها

الدكتور حسين الهمداني

الدكتور حسين الهمداني أول يمني حاز درجته العلمية في الفلسفة والآداب من جامعة لندن . وقد انتدبته الجامعة العثمانية بحيدر أباد الدكن بالهند ، لتمثيلها في مؤتمر المستشرقين بليدن . فمثلها خير تمثيل حيث قدم بحثاً قيماً عن تاريخ الدول الاسلامية — لعل الفرصة تسمح لنا بنشره — وقد أقامت جمعية الطلاب العربية في برلين (ألمانيا) حفلة احتفاء الاستاذ الدكتور الهمداني حيث ألقى محاضرة عن الدعوة الاسماعيلية وآدابها في يوليو سنة ١٩٣١ . ننشرها بنصها بكتوبة بخطه .

لا يخفى على حضراتكم أن آداب الفرقة الاسماعيلية وتاريخها مهمة جداً لدرس تاريخ الاسلام ولكنها أهملت الى أزمان حتى اكتشف العلماء المستشرقون بعض تاريخها ، واهتموا بنشرها في السنين الاخيرة ، ولكن للأسف إن أكثر هذه المعلومات التي استقوها فمأخوذة عن كتب مخالفي هذه الفرقة . لذلك لا يمكن للباحث المحقق إلى الآن أن يعرف أهمية هذه الآداب إلا من مصادر عارفيها والملمين بها حق إلمام. إذن أريد أن أذكر لكم الليلة قسماً من تاريخ الدعوة الاسماعيلية الباطنية باليمن وعلاقاتها التاريخية والدينية مع الخلافة الفاطمية في مصر ، لأن تاريخ هذه الدعوة غير معروف إلى اليوم في العالم إلا عند أبنائها . وأحاضركم الليلة باختصار عن تاريخ هذه الجمعية السرية ، كما وجدته في كتبها المصونة باليمن والهند .

إن للدعوة آدابا لم تنشر إلى اليوم، لأن هذه الفرقة تعتقد بأن أسرار أولياء الله لا تفشى للغير إلا لمصلحة ما ، بعد إذن صاحب الامر .

فهذه الآداب محفوظة في خزائن الدعوة باليمن والهند، و بعضها في المكتبة « الامبروسيانا » بميلانو (إيطاليا) كما أخبرنا عنها المستشرق جريفيني في نشرة مجلة الجمعية الشرقية الالمانية .(١) فأريد الليلة أن أبحث عن تاريخ الدعوة الاسماعيلية باليمن كما وجدته في مؤلفات الداعي إدريس عماد الدين القرشي الأنف (المتوفى في القرن التاسع بعد الهجرة)

(١) انظر جريفيني (Griffini) Z. D. M. G. ٦٩ ، ص ٨

لا يخفى أن الشيعة قد اختلفوا فى أمر الأمامة بعد الأمام جعفر بن محمد الصادق وانقسموا إلى فرقتين :

فرقة الاثنى عشرية وهم أتباع الأمام موسى بن جعفر ، وفرقة الاسماعيلية وهم يعتقدون فى إمامة اسماعيل بن جعفر وابنه محمد بن اسماعيل وأولاده الثلاثة : المستور بن عبدالله بن محمد ، وأحمد بن عبد الله ، والحسين بن أحمد.

إن هؤلاء الأئمة الثلاثة المستورين كانوا اختاروا لأنفسهم حالة الستر خشية من أعدائهم الخلفاء العباسيين ، ولكن الدعوة الاسماعيلية كانت قائمة فى دور الستر على أيدى الدعاة فى نواحى البلاد العربية . ولا يخفى على حضراتكم أن القرامطة كانوا أساس هذه الدعوة وغايتهم قلب الدولة العباسية الاسلامية . فاهتموا لذلك بتأسيس الجمعيات السرية و بنشر العلوم الفلسفية كمثل رسائل إخوان الصفا ، والرسائل المنسوبة إلى جابر بن حيان الصوفى (١) فأسس الداعى أبو القسم بن حوشب المعروف بمنصور اليمنى دولة علوية باليمن ، كما أسس الداعى أبو عبد الله الشيعى دولة فاطمية بالمغرب ، وظهر بعد ذلك المهدى بالله بن الامام المستور الحسين لرئاسة هذه الدولة فى شمال أفريقية .

قد تختلف هذه الدعوة عن الدعوة الدرزية فى منع قول الألهية عن شأن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى . ثم اضمحلت الدولة الاسماعيلية باليمن بعد وفاة الداعى أبى القسم منصور اليمن . ولكن الدعوة كانت قائمة بالستر خشية الأعداء حتى ثار الداعى على بن محمد الصليحى مظهرا الدعوة الفاطمية فى خلافة المستنصر بالله .

طلع الداعى الصليحى بعسكره إلى حصن مسار بحراز فى سنة ٤٢٩ هـ ولم تأت سنة ٤٥٥ إلا وقد ملك اليمن جميعها قلاعها وحصونها ومدنها وسهلها وجبلها .

ولما توطدت الدعوة الداعى الصليحى وصارت فى حوزته جميع البلاد اليمنية من أقصاها إلى أقصاها ، ترك امرأته الحرة المصونة الصليحية أسماء بنت شهاب بمدينة صنعاء واليه عليها لتوجهه لحج البيت بمكة الشريفة ، وهناك وجد بين الشريف صاحب مكة و بنى عمه حروبا قد كثر فيها سفك الدماء والقتل من الطرفين ، فرام الداعى الصليحى أن يصلح بين الشريف و بنى عمه ، فأبى الشريف قبول ذلك ، وسد فى وقوع الصلح المسالك ، ولاذ الناس بالملك الصليحى ليكف عنهم عادية الحرب و بذل الداعى مساعيه لاتحاد كلمة العرب ما جل موقعه وعظم

---

(١) ان صديقى الدكتور بولس كراؤس (ببرلين) سينشر تحقيقاته القيمة على رسائل جابر بن حيان الصوفى فى المستقبل القريب .

ذكره(١) وجرت بينه و بين الخليفة المستنصر بالله مكاتبات فى أمر الفتنة بمكة(٢).

رجع الملك الصليحى إلى اليمن فوقع الانتظام فى نواحى البلاد، وجد عزم السلطان الصليحى للحج إلى البيت مرة ثانية ، وقد أرسل قاضى قضاة اليمن لمك بن مالك الحمادى إلى الامام المستنصر بالله ليطلب الاذن للهجرة إلى الامام ، فلما وصل لمك مصر أنزل فى دار باب الامام وداعى دعاته المؤيد فى الدين هبة الله بن أبى عمران الشيرازى (٣) فأقام مدة وهو فى خلال ذلك يتعلم من الداعى المؤيد، و يكتب ما أفاده وألقاه عليه من علوم الدعوة الباطنية ، فلما عاد قاضى القضاة لمك وجد الملك المكرم خليفة بعد أبيه الداعى السلطان على بن محمد الصليحى لأن الملك الصليحى سار من صنعاء قبل وصول قاضى القضاة إلى اليمن قاصداً الحج ،وفى الطريق قتل الداعى على بن محمد الصليحى وأخوه عبد الله وكثير من أصحابه . فقام بعده بأعباء الملك والدعوة ولده الملك المكرم احمد ، فجمع الملك قحطان وخرج لاستنقاذ أمه من الحبس بزبيد ، فانهزم العبيد بعد قتال شديد وصبر من العرب عظيم ، وأطلق أمه مع من وقع فى أيدى العبيد واشتهر أمر الملك المكرم ونجدته ، وقال الناس فى ذلك : إن الذى سماه ذا السيفين لحكيم .

وأقامت السيدة الحرة أسماء بنت شهاب مع ابنها الملك المكرم ، حتى وافاها القدر المحتوم وتولت السيدة الحرة الملكة الصليحية أروى بنت أحمد مع بعلها الملك المكرم وكان يسترشد برأيها.

ولما اطمأنت الامور للملك المكرم واستقرت الاحوال أشارت عليه امرأته الحرة السيدة ابنة احمد أن يجعل (ذى جبلة) دار قراره، وأن يتحصن فيها بجنوده، ففعل بمشورتها واتخذ ذى جبلة مسكناً، ثم أصابه الفالج وقوى عليه فأشار عليه الأطباء بالاحتجاب عن الناس ، وصرف أمر الدعوة والملك إلى امرأته الحرة السيدة الصليحية وكانت امرأة صالحة ذات نسك وفضل وكمال عقل وعلم ، تفوق الرجال فضلا عن ربات الحجال، وهى كما قال الشاعر مادحا :

وما التأنيث لاسم الشمس عيباً ولا التذكير فخراً للهلال

فقامت بأعباء الملك والدعوة، وكان الامام الخليفة الفاطمى أضاف أمر أهل دعوته فى اليمن

---

(١) ابن الاثير ج ٩ ، ص ٤٢٢ . هارتمان : *Der islamische Orient* ج ، ٢ ص ٥٣٢ ، سنوك جرونى : مكة ج ١ ، ص ٦١ — ٦٢

(٢) ان الداعى ادريس عماد الدين ورد فى المجلد السابع من كتابه المسمى بعيون الاخبار ذكر المكاتبات التى جرت بين الفواطم فى مصر والصليحيين فى اليمن فى أمور شتى.

(٣) انظر د . س . مرجليوث فى *J. R. A. S.* (١٩٠٢ م) ص ٢٨٩ — ٢٩٠ : مكاتبة بين المؤيد فى الدين والشاعر أبى العلاء المعري على موضوع اجتناب الشاعر عن أكل اللحوم .

وعمان والهند والسند ، وأصدر الامام اليها أجل أبواب دعوته ، فأفادها من علوم الدعوة ، ورفعت عن حدود الدعاة إلى مقامات الحجة وأمر الدعاة بامتثال أوامرها ، وكان الدعاة عليها يعولون واليها فى كل أحوال يرجعون ، واستعانت فى إقامة الدعوة بقاضى القضاة لمك بن مالك وبابنه الداعى يحيى بن لمك وكان اليهما يرجع الفضل فى بث الدعوة .

توفى الخليفة المستنصر بالله وقام بعده بالخلافة والامامة ولده المستعلى بالله ، وخرج نزار بن المستنصر على أخيه المستعلى ، واتفقت الجماعة معه فانقسمت الاسماعيلية إلى فرقتين : فرقة تدعو إلى إمامة المستعلى وتسمى هذه الدعوة « الدعوة القديمة » وفرقة تدعو إلى إمامة النزارية وتسمى هذه الدعوة « الدعوة الجديدة » والى نزار تنسب ملوك الاسماعيلية فى قلعة الموت (راجع ابن خلكان)

نصبت الحرة الملكة الصليحية القاضى الداعى يحيى بن لمك باظهار الدعوة بأقطار اليمن الى المستعلى بالله . ثم توفى الخليفة المستعلى بالله فى سنة ٤٩٥ وولى الامام الآمر بأحكام الله وقامت الحرة الملكة بالدعوة إلى الآمر .

أرسل الوزير جوانمرد الآمرى الملقب بالمأمون الداعى على بن ابراهيم بن نجيب الدولة مساعداً للحرة السيدة . وفى أيام الآمر بأحكام الله أقاما الحرة الملكة ويحيى بن مالك الداعى الذويب بن موسى الوادعى داعياً فى الدعوة وجعلاه بعدهما القائم فى الدعوة والخليفة ، فوردت على الحرة الملكة البشارة بمولد الطيب بن الآمر فى سجل يتضمن من النص عليه بالامامة ، وأرسل الآمر إلى السيدة الحرة الشريف محمدا بن حيدرة سفيراً .

وأما الآمر فقد قتله بعض النزارية وظهرت الدعوة بعد قتل الآمر إلى ابنه الامام الطيب وأخذ الدعاة له البيعة والعهد وكان القائم بالدعوة اليه فى الديار المصرية هو ابن مدين الذى أقامه الآمر فى الرتبة البابية والحرة السيدة الصليحية باليمن والداعى الذويب بن موسى الوادعى قائمان بالدعوة إلى الامام الطيب ، والوزير عبد المجيد قائم بحفظ القصر وظاهر الملك ، فبعد ظهور أبى على بن فضل ادعى عبد المجيد الامامة ، فأخرج الدعاة والطيب الامام وخلت بيوت القاهرة المعزية واستتر الطيب وكان ابن مدين ممن استتر بستر مولاه وما زال الستر إلى هذا الأوان . والاسماعيلية تعتقد أن الامامة جارية فى عقب الامام الطيب فى كل وقت وزمان ولا يزال ذلك حتى تقوم القيامة ؟

(يتلى) حسين الهمدانى